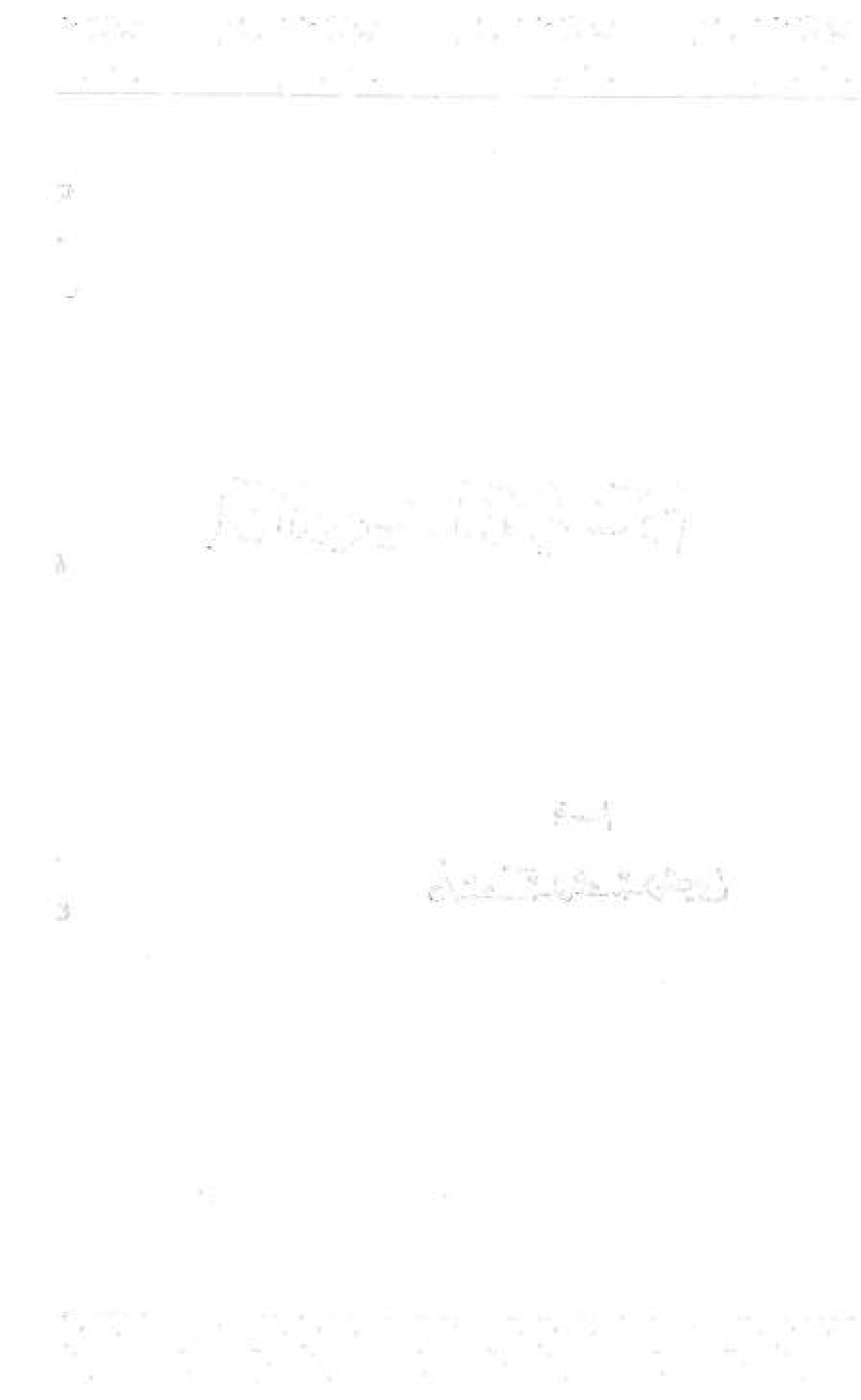
إن الدين عند الله الإسلام

بقلم

د/ محمد محمد يحيى



المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن الإسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله للبشر عامة ، والإيمان به والاهتداء بمناهجه الحكيمة فى الحياة حق على كل مكلف ... ، ولا تقف مسئولية المكلفين أولى الألباب عند الإيمان والاستهداء بل لا بد أن يتجاوزوا ذلك إلى الدعوة إليه ، وحث الناس عليه ، وكشف حجب الغفلة والضلالة عن قلوب المعرضين عنه ، ذلك لأن الاسلام الحق لا بد أن يعم الدنيا ، ويملأ الآفاق ، والعقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص ، والعبودية الصادقة لا بد أن تكون كلها لله ، والسلوك الاسلامى لا بد أن يحفظ ويصان ، ومجتمع المسلمين لا بد أن يبقى خير مجتمع أخرج للناس

وهذه الأهداف الكبيرة فى الإسلام لا تتحقق إلا إذا كانت الدعوة فى الإسلام عقيدة ، وأصبح التناصح شعار كل مسلم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منهج كل مؤمن ، وتخلصنا من داء السلبية إزاء التجاوز والتعدى الذى يتعرض له الإسلام وشريعته ، واستبعدنا سلاح التنصل والهروب من كل تبعة أو مسئولية .

ولأجل ذلك كانت الدعوة فى الاسلام عصبه وقوامه وحياته وحيويته والحافظة لمسيرته وحركته ، وقد حظيت من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بأكبر قدر وأوفى من العناية والاهتمام[1] وسر هذه

---

(١) حيث وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على وجوب =

الاهتمام القرآنى بقضية الدعوة إلى الإسلام أنها فى حقيقتها وفى جوهرها قضية حراسة لحدود الاسلام ومبادئه ، ولا تقل عن المرابطة على الحدود لرد الاعداء والمعتـــدين ولا سيما فى عصرنا الحاضر الذى ذهبت فيه الأفكار المشتتة تدعو لأفكارها الضالة ، وكل واحد منها يرفع رايته مستعليا يريد النصر ، وافساح المجال لفكره ، وذهب كل فريق يدعو لديانته أو مذهبه الذى يريد تطبيقه على أكمل وجه ، وهو يظن أن فكره صائب وأن ما أتى به هو أحسن الاعمال ، فالنصرانى يدعو لنصرانيته ويبذل قصارى جهده فى التبشير بها وذيوعها ظنا أنها هى الدين الصحيح ، واليهودى يريد القضاء على العالم وأنه هو الشعب المختار ، ودينه هو الدين الصحيح ، ويفعل ما يحبه ويريده بالعالم دون أن يرجعه أحد إلى صوابه ، وصاحب كل مذهب يدعو لمذهبه مع أن كل واحد من هؤلاء جميعا يسير على طريق الشيطان الرجيم ، فلا دراية له بدينه الصحيح الذى بعث به نبيه ، ولذا كان هذا البحث الموجز خطوه على الطريق لبيان الحق لهؤلاء وغيرهم لمعرفة الدين الصحيح الذى ارتضاه الله لعبادة منذ القدم ... وقد قسمته إلى ثلاث نقاط :

الأول حول التدين والفطرة

الثانية حول السنة العامة أو السمات المشتركة فى دعوة الرسول إلى الله

والثالث بيان كيف أن الدين عند الله هو الإسلام فقط .

فإذا كان الفكر الاوربى قد أفلس فى تفسير ظاهرة التدين وأنواع سلوكه فى المجتمع البدائى فإن القرآن الكريم قد أوضح فى العديد من آياته

= الدعوة إلى الله سبحانه والقيام عليها وكذلك السنة المشرفه وردت فيها أحاديث كثيره حول ذلك راجع على سبيل المثال آيات سورة آل عمران آية ١٠٤، آية ١١٠ وآية التوبة ١٢٢ وحديث [من رأى منكم منكرا فليغيره ... وغيره من الأحاديث

البينات هذه الظاهرة بيانا شافيا لا ريب فيه فقد قال الحق سبحانه « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ... الآيات إلى ولعلهم يرجعون »[١] .

وقال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[٢]

وإذا ما ذهبنا إلى السنة الشريفة لوجدنا هاتين ذلك أيضا بيانا ثانيا

حيث نجد الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وفى الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة »[٣] .

وهكذا يوضح الفكر الاسلامى من خلال مصادره الأولى هذه الظاهرة دون تخبط أو تضليل فآيات سورة الأعراف تعرض حقيقة الباعث على التدين فى نفس الانسان ، فقد استخرج الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم التى سوف توجد جيلا بعد جيل فى قرن بعد قرن وسألهم ألست بربكم ؟ فأجابوا جميعا : بلى شهدنا ... أى شهدنا بربوبيتك وحدك وبهذه الشهادة سقطت تعلتهم يوم القيامة أن يقولوا : إنا كنا عن التوحيد غافلين أو يقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا على آثارهم مقتدين .

---

(١) راجع سورة الاعراف آيات ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤

(٢) سورة الروم آيه ٣٠

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه بسنده ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطره ٢٨/ ٤٥٨ ٤٥٩ عن أبى هريرة .

يذكر الإمام ابن كثير فى تفسيرها ، قال الأمام أحمد حدثنا حسين ابن محمد حدثنا جرير عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان — يعنى عرفه — فأخرج من صلبه كل ذريه ذارها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ... إلى قوله تعالى : « بما فعل المبطلون »(١) .

ويقول ابن عباس فى تفسيرها أيضا : إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامه فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم فى صلبه ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن إدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقربه لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول . على الفطرة (٢) .

فمن خلال هذا التفسير الطيب يتضح لنا حقائق منها .

١ — إن التدين مرتبط بعليته الاساسيه المركوزه فى فطرة الإنسان وهى الميثاق الأول الذى أخذ الله سبحانه على البشر عامه فى عالم الذر .

٢ — إن كل من حضر الميثاق الأول لا بد من وجوده فى عالم الحياة(٣) .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ٢ /٢٦٤

(٢) المصدر السابق جـ٢/٢٦٢

(٣) وهنا تبدو محاولة تحديد النسل أو تنظيمه خرافه سول بها الشيطان باسم العلم أو التنسيق الاقتصادى ، فقد تكفل الله بالخلق والرزق معا .

٣ — أنه يوم الحج الأكبر يوم عرفات لأنه ميقات الميثاق الأول يوم أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم بأنه ربهم ، فقالوا : بلى شهدنا ... وقد جعله الله الركن الاكبر فى الحج لانه مكان العهد والميثاق الذى نطقة البشرية على نفسها فى عالم الغيب » والمهم فى عرض هذا التسير لهذه الآية هو ما ذكره بن كثير رضى الله عنه ... ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الاشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد(١) .

وهو الذى تدعو الله آية سورة الروم « فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »(٢) .

فالدين والفطرة إذن الاسلام كما يوضح ذلك الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .... ثم يقول فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »(٣) .

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ / ٢٦٤

(٢) سورة الروم آية ٣٠

(٣) حديث صحيح سبق تخريجه ، وهنا يبدو سؤال وهو ، إنه إذا كان المراد بالفطرة الاسلام فما معنى لا تبديل لخلق الله ، وقد دل الحديث على أن الابوين يهودان ، وينصران ... ؟

وأجاب العلماء على ذلك بأن معنى الجملة الطلب فى صورة الاخبار أى لاتبديل لخلق الله ، أو يكون معنى الجملة على الخبر على الحقيقة ويكون المفهوم أن الله جلت قدرته خلق جميعا على الفطرة المستقيمة التى لا يمكن تبديلها ولا يولد ولد وهو مجبول عليها ، ولا يغير الله خلقه ، ولكن الذى يحاول التغير الأب والام ... ففيه تهديد وتحميل للمسئوليه على إرادة التغير ...

فالحديث الشريف يدل على أن الإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد ، وأن مبادىء الإسلام مطابقة تماماً لسنن الفطرة ، وأن ما يعتور الناس من عوج إنما هو أمر طارىء راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة - أى إلى تنشئة النشىء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله .

يقول الأستاذ سيد قطب تفسيراً لذلك : إن حقيقة التوحيد مركوزة فى فطرة الإنسان كما أنها مركوزة فى فطرة هذا الوجود من حوله ، فى الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله .. وهذا حق ، فإذا كان القرآن الكريم قد أوضح لنا علل التدين فى الانسان مفطور عليه ، فقد شهد لذلك التاريخ الانسانى نفسه .

فإن الناظر فى تاريخ البشرية على مدى العصور والأجيال المتعاقبة يجد أن الدين كان أمراً لازماً لها ، وأنها لا يمكن أن تستغنى عنه بحال من الأحوال شأنه فى ذلك شأن مقوماتها الضرورية ومن ثم لم نجد أمة من الأمم قد استطاعت أن تعيش بمنأى عن عقيدة دانت لهـــا بالخضوع والإذعان سواء فى ذلك الشعوب المتقدمة التى خطت خطوات فسيحة فى سبيل الحضارة والمدنية .

فاعتقاد الإنسان بوجود قوة عليا تسيطر على هذا الكون وجد يوم وجد الإنسان على ظهر هذه البسيطة ، وإن لم يعرف حقيقة هذه القوة المغيبة عنه .

وقد تناول هذا الموضوع الكثير من الكتاب والمفكرين ، حتى أن بعضهم استدل على وجود البارى سبحانه ، وأقامه دليلا مستقلا على وجود الله ، وسماه « الدليل الإجماعى » ، وعلل هذه التسمية بإجماع الأمم على الاعتراف بإله قادر أبدع الكائنات وهو لا يزال يرعاها ويدير شئونها

مثلما فعل الشيخ « محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى » فى كتابه « دلائل التوحيد » تحت عنوان « الدليل الحـــادى والعشرون » [تاريخ البشر] فيقول : « إن تاريخ البشر يرينا أن جميع الناس من مبدأ فطرتهم هم أصحاب اتجاه دينى » فلا توجد أمة فى عصر أو مكان دون ديانة ، ولئن رأينا البعض قد انحرف فلا يمنع هذا أن معرفة الله مغروسة فى قلوبهم ، هذا الشعور الدينى لا يمكن أن يكون وليد عقل بشرى لأنه سبق كل تقدم علمى وقد قال بعض من زرع الأرض برحلاته : إنه فى الوقت الذى يمكننا أن نجد فيه أمماً محرومة من العلوم أو السلطة أو التقدم ، فإننا لا يمكننا أن نجد مدينة خالية من المعابد أو لا تقام فيها صلوات لدفع ضر أو لجلب نفع وخير .

ثم يقول : فهذا دليل على أن الله خلق البشر وهم يحملون من المواهب الروحية ما يمكنهم من معرفة وجود الله معرفة تنبعث من النفس ، وتصدر عن القلب ، كما ذكر عن الرحالة الذين جالوا عند افتتاح أمريكا واستراليا وغيرها من الأرض المجهولة .

ويكمل دليله بقوله : إن الاعتقاد بوجود وخلود النفس من أركان دياناتهم -- ديانة الشعوب التى ذكرهاـ وكذا الاعتقاد بمكافأة الصالحين ومجازاة المفسدين ، بل شوهد عند أعظم الشعوب توحشاً وهمجية الاعتقاد بوجود مولى عظيم فى السماء . وقد كان الدين والاعتقاد بوجود الله سابقين على كل تقدم ، فلقد ظهرا مع ظهور الأسنان ووجره على الأرض . وما يزعمه زاعم من أن بعض الأمم لم يعرفوا الخالق تعالى ، فما هو إلا ادعاء باطل كما تبين للمؤرخين الذين جالوا بين أولئك الشعوب ، واستقرءوا أخبارهم فوجدوهم على أتم اتفاق على الإقرار بوجود الله سبحانه[1] .

---

(١) دلائل التوحيد / جمال الدين القاسمى ص ٤٧ ، ٤٨ ط جمعية دار النشر والتأليف الأزهرية .

وهو هذا أيضاً يحدثنا الأستاذ البهي الخولي في كتابه «آدم عليه السلام» فيقول: ومن الغرائز الأصيلة في الإنسان غريزة التدين، ومن مظاهرها الرجوع إلى الله والإنابة إليه والنزوع إلى عونه ورعايته سبحانه ويظهر أثر ذلك بارزاً في حالتين :

الأولى: عندما يقع أهل الغفلة والشرود عن الله في كرب لا تنفع معه حيلة ولا سبب، يصور ذلك قوله سبحانه «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين»(١). وهذا النمط من البشر يخلف وعده ويكذب نفسه «فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض ... الآية وآيات في القرآن الكريم كثيرة توضح نفسية هذا اللون من البشر.

يقول سبحانه «وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار»(٢).

ويقول أيضاً: «وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون»(٣).

ويقول «قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون»(٤)

---

(١) يونس : ٢٢ (٢) الزمر : آية : ٨
(٣) يونس : ١٢ (٤) الأنعام آية : ٦٣ ، ٦٤

وهكذا يصور لنا القرآن تلك الغشاوة التي تحجب بصيرة الإنسان عن رؤية الحق في جانب الخالق، حين يكون في سعة من العيش ورغد من الحياة حتى ما إذا تبدل به الحال فأصبح في فقر بعد غنى وبؤس بعد رخاء، وحتى إذا ماضاقت به السبل وتعسرت عليه الحياة انقشعت عنه تلك الغشاوة فارتد بصيرا، والتجأ إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له.

ولعل مايصور لنا تلك النزعة ماتحكيه لنا آيات القرآن الكريم في قصة فرعون حينما أدركه الغرق وأطبق عليه البحر فثارت في نفسه الغريزة الدينية التي حجبت بكبريائه وصلفه وغروره فأعلن الإيمان — ولكن هيهات ينفع الإيمان — قال تعالى «حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين»[1]

أما الثانية: فنجدها في صورة النفس اللوامة التي تعود إلى ربها إذا كشف عنها غطاء الغشاوة الإجتماعية يقول تعالى «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ...»[2] الآية:

وهكذا يتضح لنا من خلال ما سبق أن غريزة التدين من الغرائز

---

(١) يونس آية ٩٠، وهناك آيات أخرى كثيرة غير هذه الآيات منها «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» [الزمر: ٣٨] وقوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون» [لقمان: ٢٥]، «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم» [سورة الزخرف: ٩١] «وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين» [لقمان: ٣٢]

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٥

الأصيلة فى الإنسان ، وأنه لا يتصور أن يعيش الإنسان البتة بغير عقيدة أيا كانت هذه العقيدة ، فحتى الإنسان الملحد أو اللادينى لا يمكن أن نبرئه البته من العقيدة ، فإنه فى حقيقته مؤمن ولكن فى وضع آخر وصورة أخرى[1].

وإذا كانت العقيدة أمراً فطريا فى طبيعة الإنسان وملازمة له على الدوام ، وإذا كان الإنسان عاجزاً بمفرده أو حتى مع بنى جنسه وعشيرته عن إدراك وجه الحق فى صلته بخالقه ، وما يجب لهذه الصلة أن تكون عليه قدسية وتنزيه ، كان من الطبيعى أن يرسل الله الرسل ليأخذ وأيد البشرية نحو الاتجاه السليم الصحيح لما يجب أن يكون عليه الوضع فى أمر العقيدة .

ومن ثم كانت الحكمة الالهية قاضية بأن تكون بعثة الأنبياء عليهم السلام عامة لجميع الأمم فى جميع الأزمان والعصور ، وفى هذا يقول الله سبحانه «ولكل أمة رسول»[2] «ولكل قوم هاد»[3] «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير»[4] ، وقد بعث الله هؤلاء الرسل لغاية وهدف ، ولتحقيق هذا الهدف جعل دعوتهم متحدة فى الأصول والسنن العامة بعثوا من أجلها وتحقيقها ، فما هى السنن العامة أو السمات المشتركة فى دعوة الرسل إلى الله ؟ ،

---

(١) هذا هو الإسلام / محمد عبد القادر العماوى ص ٣٠ ، ٣١ ط دار الفكر .

(٢) سورة يونس آية (٤٧) (٣) سورة الرعد آية (٧)

(٤) سورة فاطر آية (٢٤)

السنن العامة فى دعوة الرسل إلى الله تعالى

قال تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ... » [سورة الشورى آية ١٣]

وقال ﷺ : «الأنبياء أخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى صحيح بسنده ك الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ج٢/٣٤١

= إن من أنعم النظر فيما قصه الله تعالى فى كتابه الحكيم على رسوله الصادق الأمين ﷺ من أنباء الرسل صلوات الله عليهم أجمعين — يرى أنهم جميعاً جاءوا للبشرية بجملة من المبادىء والأركان المتعلقة بشطرى العقيدة والشريعة .

فلقد اتفقت الرسالات السماوية جميعاً على أن العقيدة وتوحيد الألوهية هى الأساس الأول حتى إذا ما تم إرساء ذلك الأساس وتوطدق تقوى المرسل إليهم كانت المرحلة الثانية بالنسبة للرسل وهى مرحلة التشريع ، ذلك أن إرساء العقيدة بعد الأساس ينبنى عليه فيما بعد ما شرعه الله لكل أمة من الأمم من تشريعات حسب الظروف والأوضاع التى كانت سائدة بها بما يكفل صالحا وإزالة ما بها من فساد ، وكان هـــذا أيضاً بمثابة العناصر التى يتكون منها بناء الدين لأى أمه من الأمم مهما اختلفت أزمانها وأماكنها ، تلك السنن والعناصر هى .

١ — الدعوة إلى الإيمان بالله وتفرده بالعبادة الوحدانية .

٢ — الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر — يوم القيامة — وما فيه من بعث ونشور وجزاء .

٣ — الدعوة إلى العمل الصالح .

٤ — معالجة الأمراض الاجتماعية والأخلاقية .

تلك أهم الأسس التى قامت دعوات الرسل جميعاً وكانت بينهم بمثابة قاسم مشترك فى دعواتهم إلى الله تعالى .

قال تعالى « إن الذين هادوا النصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمـــل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [البقرة ٦٢]

وهذه كلمة مختصرة وموجزة حول هذه الأسس .

أولا : الدعوة إلى توحيد الربوبية والألوهية لله الواحد .

وهى تعنى أفراد الله تعالى بالعبودية وإعتقاد أنه رب العالمين المتصرف فى أمور عباده والقرآن الكريم وهو أوثق المصادر وأصدقها يحدثنا فى جلاء ووضوح كيف كانت الدعوة إلى التوحيد سمة مشتركة بين دعوة الأنبياء جميعاً وإنها البداية التى يبدأ بها كل رسول دعوته إلى قومه .

نرى ذلك فيما قرره القرآن الكريم وهو يتحدث عن الرسالات السماوية السابقة .

= فيقول عن نوح عليه السلام حينما بدأ رسالته بدعوة قومه إلى عبادة الله وحده وتفرده بالألوهية المستحقة لكل خضوع وتقديس حيث يقول سبحانه « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم أعبدو الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » .

[سورة الأعراف آية ٥٩]

• وفى قصة هود مع قومه « وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون » [سورة الأعراف آية ٦٥]

• وفى قصة صالح « وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره » [الأعراف آية ٧٣]

• وفى قصة شعيب « وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره » [الأعراف ٨٥]

• وفى قصة الياس « وإن اليـــاس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين » [سورة الصافات آيات ١٢٣—١٢٤—١٢٥—١٢٦]

• وفى قصـــة إبراهيم وهو يجادل أباه ويدعوه وقومه إلى ترك ما كانوا يعبدون من دون الله من عبادات الأصنام والتمـاثيل والرجوع إلى وعبادة الله فاطـــر السماوات والأرض ، يقول سبحانه« وأذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً إذ قال يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً . يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الشيطان فتكون للرحمن عصياً » إلى آخر الآيات التى تحدثنا عن مجادلته لأبيه .

[سورة مريم آيات ٤١—٥٠]

وفى سورة الأنبياء « قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين » راجع آيات ٥١ إلى ٥٩

• وفى قصة موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه عن دعوته قومه

إلى عبادة الله الواحد «إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما» (سورة طه ٩٨)

ويقول سبحانه فى الميثاق المأخوذ على بنى إسرائيل «وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله» (سورة البقرة ٨٣)

وقوله سبحانه حكاية عنه «ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم....» (سورة المائدة ١١٦)

وسيدنا محمد ﷺ يدعو قومه ويعلمهم «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين» (سورة فصلت آية ٦)

ويعمم الحق سبحانه وتعالى ذلك بقوله فى سورة الأنبياء «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» (سورة الأنبياء ٢٥)

وفى سورة النحل «ولقد بعثنا فى كل أمـــة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» الآية ٣٦

وفى سورة الزخرف «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» آية ٤٥

وهكذا يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك كيف كانت الدعوة إلى توحيد الألوهية والربوبية سمة مشتركة بين دعوة الرسل جميعاً الى الله، بيد أن مما يجدر الاشارة اليه هو أن دعوة الرسل لهذا الجانب لم يكن الغرض منها التدليل على وجود الله بقدر ما كان الهدف منها هو تنزيه الذات الالهية عما علق بها فى أذهان البشر من أوثان الشرك، ذلك أن الشرك ظاهرة قديمة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ الإنسانى: فهى ظاهرة

تسرى جذورها وتمتد عروقها ومنابتها فى جوف الانسانية الفاسدة اللاهية، دامت تخطو على جسر هذه الحياة إلى أن تقع فى دائرة الحياة الأخرى ، ومن ثم كانت مهمة الرسل هى تصحيح العلاقة بين الانسان وخالقه وتطهيرها عما شابها من شوائب الاشراك التى ضلت فيها البشرية على مذاهب شتى .

ثم إنها البداية الطبيعية لكى يتلقى البشر بعد ذلك وحى السماء بعد أن آمنوا بمصدره ومن هنا تأتى المرحلة التالية بعد الإيمان بالله وتفرده بالعبادة والتقديس وهى مرحلة الدعوة إلى بقية أركان الدين .

الاساس الثانى : الدعوة إلى الايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء .

فهذا هو الاساس الثانى الذى اتفقت عليه دعوة الرسل إلى أقوامهم وهو الدعوه إلى الايمان بحشر الخلائق من القبور للوقوف أمام الله لتجزى كل نفس بما كسبت .

ذلك أن الأنسان فى حياته الدنيويه لما كان يكد ويسعى ويمارس أنواعا من الاعمال سواء منها ما يتعلق بشئون معيشته الدنيوية ، وما يتصل بها من كافة ضروب المعاملات والمبادلات بينه وبين غيره من البشر أو ما يتعلق بشئون دينه وما يتصل بتلك الشئون من أداء العبادات وإذا كان الانسان قد يلقى فى دنياه جزاء ما يقدمه من بعض الأعمال الصالحه مثلا ذلك فى صورة نعمة قد ينعم الله بها عليه ، وكذلك الأمر بالنسبة لما يقترفه الانسان من الآثام والمعاصى ، فإن كثيرا من الاعمال التى يقوم بها الانسان فى هذه الحياة لا يجد لها جزاءاً فى حياته الدنيوية هذه ، ولما كانت حكمة الله قاضيه بأن لكل عمل من الاعمال جزاء إن خيرا فخير وان شرا فشر طبقا لقاعدة المسئولية والجزاء ، كان من الضرورى

ان تكون هناك دارا أخرى بعد هذه الدار يبعث فيها البشر من قبورهم حيث يقفون للحساب والمساءلة ثم توفى كل نفس جزاءها من الثواب أو العقاب (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ... الآية) [سورة آل عمران ٣٠] .

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة ٧، ٨] .

وإذا كانت هذه القاعدة « قاعدة المسؤلية والجزاء » لا تخص فردا دون فرد أو قوما دون قوم ولا أمه بعينها دون أخرى كان من الطبعى أن تكون عقيدة البعث والجزاء عامة لجميع الناس ، وهذا الأساس وسط بين كل من الأساس الأول والثالث فهو مكمل للأساس الأول وهو الإيمان بالله وتوحيده وباعثا على الأساس الثالث وهو الدعوة إلى العمل الصالح .

هذا وقد عرض القرآن الكريم هذا الأساس عرضاً موضحا فى كثير من آياته البينات .

ولعل ما يوضح هذا الركن بالنسبة للبشر جميعا وأنه سنه من سنن الله تعالى أن يجازى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته ما ذكره الحق سبحانه فى قصة آدم وحواء (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ... قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [سورة البقرة الآيات ٣٦، ٣٨، ٣٩] .

وذلك واضح من قوله سبحانه « ومتاع إلى حين » وهو حين موتهم وفى الجزاء بين جزاء الذين كفروا ويتضح هذا الركن جيدا فى دعوات

الرسل إلى أقوامهم ، ولذا نجد أن هذا الركن من الأركان الأساسية والسمات العامة المشتركة بين دعوات الرسل جميعا .

ففي دعوة نوح عليه السلام نجد قول الحق سبحانه (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ،[سورة الأعراف الآية ٥٩] .

وفي سورة هود « إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم »[آية ٢٦] .

وفي سورة نوح حين يعدد لهم من مظاهر القدرة الإلهية في هذا الكون ما به يستدل على أحقية البعث حيث جاء في السورة (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً » [الآيات ١٣ إلى ١٨ من سورة نوح] .

ونجد سيدنا إبراهيم — عليه السلام — يدعوا الحق سبحانه بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فيقول « ربنا اغفر لى ولوالدى والمؤمنين يوم يقوم الحساب »[سورة إبراهيم الآية ٤١] ،

فيوم الحساب هو يوم القيامة :

وفي قصة شعيب — عليه السلام — (وإلى مدين أخاهم شعيب قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) [هود آية ٨٤] .

وفي قصة موسى — عليه السلام — نجد قول الحق سبحانه (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة

ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) [سورة البقرة الآية ٤٧ ، ٤٨] .

بل ويضرب المثل عمليا لبنى إسرائيل يشاهدونه بأعينهم يبين لهم إمكان البعث وكيفية فيقول سبحانه (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقره قال أتتخذنا هزوا ... إلى أن يعلمهم الحكمة من ذلك وهى قدرة الله على إحياء الموتى فيقول سبحانه (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) [آيات سورة البقرة ٦٧ إلى ٧٣] .

وعن هذه يوضح القرآن أن ما جاء به هو ما أوحاه الله إلى إبراهيم وإلى موسى ، أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى الا تذروا وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وإن إلى ربك المنتهى [سورة النجم آيات ٣٦ — ٤٢] ،

ولقد كان من وعد الله لبنى إسرائيل أن يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار حين يمتثلون ما أمرهم به من المأمورات فيقول سبحانه « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) [المائده آية ١٢] .

فى قصة عيسى — عليه السلام — « وإذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » [آل عمران آية ٥٥] .

ويقول الله أيضاً « لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ... »
الآيات من سورة النساء ١٧٢ ، ١٧٣

وسيدنا محمد ﷺ كثيراً كان ينذر قومه ويحذرهم من هذا اليوم ويدعوهم إلى الاستعداد لهذا اليوم وآيات القرآن الكريم كثيرة فى ذلك حتى أن آخر آية نزلت فى القرآن ونزلت تحث وتحض على الاستعداد لهذا اليوم « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ... »
الآية سورة البقرة ٢٨١

الأساس الثالث : الدعوه إلى العمل الصالح .

وهو تدرج كريم فى سمات الرسالات السماوية ، إذ بعد ما يؤمن الإنسان بالله ويؤمن بأن هناك يوما آخر يجد فيه جزاء ما قدم فى هذه الحياة لا بد أن ينبعث عن هذا الإيمان سلوك طيب وعمل صالح، وعلى هذا كانت الدعوة إلى العمل الصالح أثر لازم للإيمان بالله واليوم الآخر وثمرة له ويتوقف كال كل منهما على الآخر فمن فسد إيمانه فسد عمله، ولا يكون العمل صالحاً مصلحا لعامله إلا بجعله على الذى شرعه الله لأجله .

والدعوة إلى العمل الصالح تشمل الدعوة لامتثال كل ما أمر الله به من عبادات مفروضه وسائر أعمال البر التى ترضى الله سبحانه لما لها من التأثير الطيب فى صلاح البشر ، كبر الوالدين ، وصلة الأرحام وإكرام اليتامى والمساكين ... وغير ذلك[1] .

وفى سورة الأنعام نجد الآيات الكريمة « ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ »[2]

(١) راجع الوحى المحمدى ، رشيد رضا ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) حيث يقول الحق سبحانه « كل تعالوا أتل ما حرم ربكم =

ما أجمعت عليه الشرائع السماوية فى الدعوة إليه من امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وذلك لما لها من الأثر الكبير فى إصلاح المجتمعات الإنسانية فإنها بعد أن دعت إلى التوحيد الذى هو الأساس والدعامة الأولى لكل دين دعت إلى حمله من الوصايا وختمت كل آية من الآيات الثلاثة بما يشعر بخطورة هذه الوصايا وأهميتها ، وتأكيدها .

فنجد فى نهاية الآية الأولى « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » وفى نهاية الثانية « ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون » وفى نهاية الثالثة « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » فهذه الوصايا جملة لا تختلف عليها الرسالات السماوية بل إن الدعوة إلى هذه الوصايا كانت من أهم السمات العامة المشتركة بين رسالات السماء جميعها »(٢) .

= عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، صدق الله العظيم .

(٢) وقد أوحى الله إلى موسى عليه السلام وصايا عشر تكاد تتفق كلها مع جملة هذه الوصايا وهى كما جاءت فى التوراة الصحيح .

١ — أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .

٢ — لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ... لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا ربك إلهك .

=

وقد حرص رسل الله جميعاً على تطبيقها والدعوة إليها فهى الصراط المستقيم الذى أمر الله عباده باتباعه والتزامه «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه».

ولقد كان بين الرسالات السماوية قاسم مشترك أيضا فى الدعوة إلى بعض التشريعات إذ أن هناك من التشريعات الكريمة التى شرعها الله لعباده لما لها من مكانة عظمى فى تربية النفوس وإصلاح المجتمعات الأمر الذى من أجله جعل الله هذه التشريعات عامة بجميع البشر، ودعا إليها جميع الرسل، ومن هذه التشريعات :

(أ) شريعتا الصلاة والزكاة :

فيها من التشريعات العامة الأصيلة التى دعى إليها جميع الأنبياء.

فإبراهيم عليه السلام يدعو ربه «ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم» الآية سورة إبراهيم آية ٣٧ «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ...» الآية سورة إبراهيم آية ٤٠

= ٣ — لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا.
٤ — اذكر يوم السبت، ففيه سبت لربك إلهك.
٥ — اكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض حتى يعطيك الرب إلهك أبناء بررة.
٦ — لا تقتل.
٧ — لا تزن.
٨ — لا تسرق.
٩ — لا تشهد على قريبك شهادة زور.
١٠ — لا تشته بنت قريبك لا تشته إمرأة قريبك ولا أمته ولا ثوره ولا حماره.

ويذكر الحق سبحانه بشأن إسماعيل عليه السلام « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا] مريم « ٥٥ » .

ويوجه الخطاب لبني إسرائيل «وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » البقرة (٤٣)

ويقول سبحانه « وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي » المائدة [١٢]

ويقول سبحانه « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة .. » يوسف ٨٧

ويأمر بني إسرائيل بالإستعانة بالصبر والصلاة « واستعينوا بالصبر والصلاة ... » البقرة « ٤٥ »

ويأمر مريم البتول « يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ... » آل عمران «٤٣»

ويقول حكاية عن عيسى عليه السلام « وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا .: سورة مريم « ٣١ »

ويؤخذ الميثاق على بني إسرائيل « وإذ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيمو الصلاة وأتوا الزكاة » البقرة «٨٣»

ثم توضح آيات القرآن الكريم أن هذين الركنين من أركان الشريعة هما من جملة ما أوحاه الله سبحانه إلى عدد من أنبيائه فيقول الحق سبحانه بعد ذكر قصة إبراهيم عليه السلام « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » الأنبياء « ٧٣ »

(ب) شريعة الصيام :

فهى من الفرائض التى أمر الله بها جميع أنبيائه لما لها من أثر عظيم فى تهذيب النفس وتربيتها على الفضائل ، وقد بينت لنا آية الصيام أن الله فرض علينا هذه الفريضة كما فرضها على الذين من قبلنا قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

سورة البقرة آية « ١٨٣ »

(حـ) فريضة الحج — حيث كان من الفرائض الأساسية الأولى التى افترضها الله وشرعها لأنبيائه وأممهم منذ آدم عليه السلام ، ومع تقادم الزمن كانت كل أمة تقوم بزيارة أماكن مخصصة بغية التقرب إلى الله المعبود ، إلى أن بوء الله مكان البيت لإبراهيم عليه السلام وأمره برفع قواعده وأن يأذن فى الناس بالحج بعد تطهير البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود .

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم »

البقرة «١٢٧»

وإذ بوءنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ... »

الآيات سورة الحج ٢٦، ٢٧ »

واستمر الحج شريعة لجميع الأنبياء ، وإن كان لتقادم الزمن أثره فى تغير الناس وتبديلهم للكثير من مناسك الحج حيث أشركوا بالله الأصنام والأوثان ورفعوها على ظهر البيت وطافوا بالبيت عرايا حتى جاءت الرسالة الخاتمة بإزالة هذه البدع وتلك المعبودات والأوثان على يد محمد ﷺ ودعا الناس إلى الحق والصواب قائلا لهم « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

سورة الأنعام آية «١٦١ »

وهكذا نجد أن جميع أركان الإسلام مشروعة ومفروضة على جميع الأنبياء، وهي متحدة بينهم جميعا مما يدل على أن دينهم جميعا دين واحد.

رابعا: معالجة الأمراض الإجتماعية والأخلاقية الفاشية:

حيث نجد أن كل رسول من رسل الله كان يبعث إلى قوم معينين لأهداف معينة استلزمت معها اختلاف بعض التشريعات التى شرعها الله لكل أمة. فتتجه كل شريعة وجهة خاصة حسب اختلاف البيئات والأمم وحسبما يكون سائدا فى تلك البيئة، وذلك من أمراض اجتماعية أو أخلاقية تحتاج إلى من يصلحها أو يستأصلها إن كان وجودها فى المجتمع لا يتفق وما يجب أن يكون عليه الوضع العام للمجتمع الأوحى الذى كرم الله أفراده على سائر خلقه، ومن هنا نلمس الحكمة فيما قام به الرسل الكرام من دعوة أقوامهم إلى الكف عما كان منتشرا بينهم من الفواحش والموبقات.

فنرى نوحا وهودا وصالحا وإبراهيم عليهم السلام يهتمون كثيرا بالتوحيد والقضاء على الشرك بشتى الوسائل لأن الوثنية كانت متسلطة على عقول من أرسلوا اليهم.

ونرى لوطا عليه السلام جعل همه فى القضاء على الفاحشة «اللواطة» لافتتان القوم بها، راجع سورة الإعراف آيات (٨٠—٨٤) «ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين» الآيات وكذلك نجد شعيبا عليه السلام بعد دعوة قومه إلى التوحيد ينهاهم عن نقص الكيل والميزان والتطفيف فيها وبخس الناس أشياءهم، ويأمرهم بإيفاء الكيل والميزان بالقسط «وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان

ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الآيات من سورة الأعراف ٨٥ — ٨٧

وكذلك نرى موسى عليه السلام يعمل على إنجاء الشعب الإسرائيلى من فرعون وآله الطغاة الظالمين لأن حال ذلك الشعب كان حينئذ يستوجب الإسعاف أولا .

وهكذا نرى كل رسول من رسل الله قام على الوجه الأكمل بمعالجة الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التى كانت متفشية بين قومه مع الصبر واحتمال الأذى فى سبيل إقامة الدين الذى بعثوا به ، وقد جعلوا دعواتهم قائمة على الترغيب فى امتثال الأوامر والترهيب من مخالفة الله وعصيانه .

خامسا : الدعوة إلى الإيمان بجميع رسل الله لا فرق بين رسول ورسول :

ذلك لأن دعوة الرسل جميعا واحدة ، ودينهم واحد والحديث صريح فى ذلك فقد جاء فيه « ... الانبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ولذا كان أخذ الميثاق على الرسل « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » سورة آل عمران آية ٨١

ويقول سبحانه « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » سورة البقرة آية ١٣٦ » ، وراجع آية سورة آل عمران رقم ٨٤

ولذا كانت دعوة سيدنا محمد ﷺ إلى الإيمان بجميع رسل الله

لافرق بين رسول ورسول ، وقد ذكر الحق فى قرآنه ذلك حيث قال سبحانه «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » سورة البقرة «٨٥».

وبعد ، فهذه هى السمات العامة والسنن المشتركة فى دعوة رسل الله جميعا مما يدل دلالة أكيدة على أن الدين الذى بعثوا به وأرسلوا من أجله دين واحد وكل مكمل للآخر فما هو هذا الدين .

ثالثا : الدين عند الله الإسلام

لقد اتضح مما سبق أن دعوة الانبياء والمرسلين هدفها واحد وهى دعوة واحدة بدين واحد أرسلهم الله به ، وإذا ما نظرنا إلى آيات القرآن الكريم نجدها تبين لنا بجلاء أن الكون بسمائه وأرضه قد انقاد للناموس الإلهى ، وإن اتصال الكون بخالقه اتصال طاعة واستسلام لمشيئة الله الخالق ، ومما يصور ذلك أبدع تصوير قول الحق سبحانه «ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » سورة فصلت آية ١١

وقوله سبحانه «تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض إلا أن الله هو الغفور الرحيم » الشورى آية «٥» .

فالسماوات الهائلة العظيمة الفخمة تتفطر من خشية الله وعظمته ، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ولم يبق فى هذا الكون متمردا على هذا الاستسلام وعظمة الله إلا الإنسان جله الكثير أو بعضه مطلقا ، وهو فى تمرده خاضع بالاكراه لناموس الكون الذى يخضع لله رب العالمين

فهو لا يملك أن يخرج عنه «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها اليه يرجعون » آل عمران «٨٣».

«ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون» النحل آية (٤٩).

ولله يسجد من فى السماوات والارض طوعا وكرها ... » الآية سورة الرعد آية (١٥).

فالكون كله قد خضع واستسلم لتوحيد الله سبحانه .. والإنسان شيء فى هذا الكون لا بد أن يكون له قانون يوحد به ربه وينصاع لهذا القانون ، وكان هذا القانون هو الإسلام الذى حمله موكب الانبياء جميعا ، والقرآن الكريم يصور لنا هذه الحقيقة ابدع تصوير ، فوحدة دين الله لانبيائه تبدو جلية فى عرض القرآن الكريم لها من عدة زوايا .

١ — من ناحية المصدر .

٢ — من ناحية وحدة الموضوع .

٣ — من ناحية النطق بالإسلام «أو وحدة التسمية .

أولا : وحدة المصدر : فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تنص على أن المصدر لكل رسالات الأنبياء هو الوحى من عند الله تعالى يقول الحق سبحانه «إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا» (سورة النساء آية «١٦٣») .

فتوضح الآية الكريمة كيف أن الوحى كان مصدر رسالات السماء إلى الأنبياء ، وكيف أن الله أوحى اليهم جميعا ، وأن كلهم تلقى الوحى من الله تعالى .

كذلك يقول الحق سبحانه «كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» سورة الشورى آية (٢٢).

أى على هـذا النسق وبهذه الطريقة يكون الوحى إليك وإلى الذين من قبلك.

وبهذا يتقرر أن مصدر الدين واحد وهو وحدة الوحى.

فالموحى هو الله العزيز الحكيم، والموحى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحى واحد فى جوهره على اختلاف الرسل والزمان... إليك وإلى الذين من قبلك.

كما يقول جل شأنه «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم».
(سورة الشورى آية ٥١)

قال المفسرون: بأن هذه مقامات الوحى بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف فى روع النبى ﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل.

ولقد أقر الأنبياء بذلك — يقول سبحانه: «قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله» (سورة إبراهيم آية ١١)

أى يمن على من يشاء بالرسالة والنبوة، ففيها إقرار بالبشرية واعتراف بفضل الله ومنه على من شاء اختياره لأداء الرسالة فأوحى إليهم ومنحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى، وآية الأنعام توضح وتقرر وحدة المصدر حيث يقول الحق سبحانه «والله أعلم حيث يجعل رسالته» الآية (١٢٤)، فالله وحده هو الذى يعلم أين يضع رسالته ويختار لها الذات التى من بين الآلاف من الملايين ويقال لصاحبها أنت رسول رب العالمين، وقد جعلها

الله سبحانه وحيث يعلم، واختار لها أكرم خلقه وأصلحهم، وجعل الرسل ذلك الرهط الكريم من لدن آدم حتى انتهت إلى محمد ﷺ خير خلق الله وخاتم النبيين.

وهكذا تبدوا وحدة المصدر للرسالات واضحة بينة مما يدل على أن دينهم واحد وهو الإسلام.

ثانياً: وحدة الموضوع:

والمراد به موضوع الرسالات. وقد سبق توضيح لأسس العامة فى دعوات الرسل، والتى من خلالها يتبين أن موضوع رسالات الله واحدة وقد قال سبحانه «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون» (سورة الأنبياء آية ٢٥)

فكل رسول بعثه الله إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة على ذلك كما سبق توضيح ذلك، وسورة الشعراء تعرض موضوعية رسالات الأنبياء جميعاً بأسلوب واحد:

= فمن سيدنا نوح ورسالته يقول الحق سبحانه: «إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقوا إنى لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون».
الآيات [١٠٦ — ١٠٨]

= وعن سيدنا هود: «إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقوا إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون» الآيات [١٢٤ — ١٢٧]

= وعن سيدنا صالح «إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقون وأطيعون» الآيات [١٤٢ — ١٤٤]

= وعن سيدنا لوط: «إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إنى لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون» الآيات [١٦١ — ١٦٣]

= وعن سيدنا شعيب : « إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » الآيات [١٧٧ — ١٧٩]

= ولقد جاء بهذا المنطق أيضاً سيدنا إبراهيم عليه السلام من قبل : « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ... » الآيات [٧٥ — ٨١]

= وقالها موسى لفرعون : « قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » الآيات [٢٢ — ٢٣]

= وقالها عيسى عليه السلام للحواريين « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » (سورة المائدة آية ١١٢)

ولقومه مطلقاً « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (سورة الزخرف آية ٦٣، ٦٤)

وآية سورة الشورى تجمع وحدة الموضوع جملة واحدة بما تضفيه من المساواة على وحى الله لصفوة أنبيائه أولى العزم من الرسل حيث يقول سبحانه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (سورة الشورى آية ١٣)

فالحق سبحانه يقول لهذه الأمة : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك » فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك أولى العزم إبراهيم وموسى وعيسى ، والدين الذى جاءوا به وأمروا أن يقيموه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى « وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحى إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (سورة الأنبياء آية ٢٥)

ثالثاً : وحدة النطق أو وحدة التسمية :

ولئن كانت حقيقة الدين عند الله هي الإسلام مصدراً وموضوعاً فإن الأنبياء جميعاً قد أقروا بأنهم على دين واحد هو الإسلام ، ونطقوا بهذه التسمية باللفظ الصريح وقد بين القرآن الكريم ذلك حكاية عنهم .

= فقد قال سيدنا نوح عليه السلام «فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين »

(سورة يونس آية ٧٢)

= وقالها سيدنا إبراهيم عليه السلام « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » (سورة البقرة آية ١٣١)

بل ووصى بها بنيه : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (البقرة آية ١٣٢)

= وقالها يعقوب عليه السلام مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ووصى بها أبناءه من بعده « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٣)

= وفي هذا الجو المعطر من وحدة التسمية التي حددها الأنبياء يفند القرآن الكريم (ادعاء أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، ومع هذا التفنيد فإن القرآن يردفه بالنصيحة بأن يتبع هؤلاء المدعون اليهودية والنصرانية ديناً لإبراهيم بأن يتبع هؤلاء الإسلام: «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » .

= قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل .

وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

(سورة البقرة آية ١٣٥—١٣٦)

وبمثل هذا المنطق والتسمية ينفى القرآن الكريم فى سورة آل عمران عن سيدنا إبراهيم أنه كان على ملة غير الإسلام يقول سبحانه : «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولـكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين»

(سورة آل عمران آية ٦٧)

وعلى هذه الوتيرة من ملة سيدنا إبراهيم ووصيته كانت وصية يعقوب إلى بنيه والتزمها سيدنا يوسف عليه السلام فأعلن فى دعائه إلى الله تعالى: «رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث . فاطر السماوات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين» .

(سورة يوسف ١٠٠ ، ١٠١)

= وكان سيدنا سليمان عليه السلام مسلماً فهو تحميد ربه على ما آتاه من الملك والنبوة ويقول : «وآتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين »

(سورة النمل آية ٤٢)

بل وتعلنها بلقيس صريحة فى يقين. «وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» (النمل آية ٤٤)

= وعلى نفس الدرب سار موسى عليه السلام فهو ينصح قومه: «وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين »

(سورة يونس آية ٨٤)

= حتى إن فرعون رغم ما فعله أعلنها عندما أدركه الغرق وقال : «آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين »

(سورة يونس آية ٩٠)

= والسحرة من قبل فرعون أعلنوها وقال : «ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين» (الاعراف ١٢٦)

= وانبياء بنى إسرائيل أسلموا لله، ووصفهم القرآن بهذا الوصف فيقول الحق سبحانه «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» (المائدة آية ٤٤)

= وعلى العهد والميثاق الذى وفى به الانبياء السابقون .كان سيدنا عيسى عليه السلام يدعو حواريه إلى الإسلام فقد قال لحـــواريه «من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهدوا بأنا مسلمون» (آل عمران ٥٢)

وكان ذلك وحياً من الله أنزله على سيدنا عيسى كما تصور ذلك آية سورة المائدة : «وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون» (آية ١١١)

= ويعلنها خير الخلق محمد ﷺ «قل إن صلاتى ونسكى ومماتى ومحياى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»

(سورة الانعام ١٦٢، ١٦٣)

بل إن الامر لم يقف عند نطق الانبياء بالإسلام ديناً اعترافاً منهم بنعمة الله التى وهبها إياهم فقد شهد الله والملائكة وأولى العلم بأن الدين الحق عند الله هو الإسلام وقد قال سبحانه «شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولى العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩)، ولقد ارتضاه الله للناس ديناً وأتمت عليهم النعمة به «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» (المائدة ٣)

وهكذا يتضح لنا مما سبق — أن دين الله واحد جاءت به الرسل جميعاً وتعاقدت عليه رسل الله كلهم ذلك هو الإسلام دين الله الخالص فى

توحيده لله عز وجل وإرجاع جميع الدعوات والرسالات إلى أصلها الواحد .

إذن فلا سبيل بعد هذا العرض لتأويل حقيقة الإسلام ولا داعى إلى النصوص وتحريفها عن موضعها لتعريف الإسلام بغير ما عرفه الله به ، إن الإسلام هو دين الله إلى البشرية وهو دين يجعل الإنسان منسجماً مع الكون الذى خضع لله بما أودعه فيه من قوانين ، وهو دين الانبياء والمرسلين والاولين والآخرين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ .

وبعد فإن نبينا محمد ﷺ يضرب المثل فى تكامل الرسالات ووحدة الدين ويقولها جامعة محيطة واضحة صريحة «مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » صدق رسول الله ﷺ .

حديث صحيح أخرجه مسلم ك الفضائل باب خاتم النبيين .

فهل آن الاوان للعقول الضالة الشاردة عن الحق أن تتوب وترجع إلى رشدها وترضى رضية الله لها ، أم أنهم سيظلوا فى غيهم وعنادهم يعمهون ؟

إذن فليقل المسلم رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا عليها أحى وعليها أموت وعليها ألقى الله وعندها سيدخل الجنة إن شاء الله تعالى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د / محمد محمد يحيى
قسم الدعوة